رؤى عالمية لتطوير التربية الفنية
(قراءة في التقارير الجهوية المقدمة على هامش "الندوة الدولية للتربية الفنية" التي نظمتها اليونسكو في لشبونة بين 6 و9 آذار 2006)

محمد فاضل رضوان*

أشرفت منظمة اليونسكو ما بين السادس والتاسع من شهر آذار 2006 على تنظيم الندوة الدولية للتربية الفنية بمدينة لشبونة البرتغالية تحت شعار "تطوير القدرات الإبداعية للقرن الواحد والعشرين"،[1] وقد تميزت أشغال الندوة على الخصوص بتقديم مجموعة من التقارير الصادرة عن لقاءات جهوية إعدادية للقمة بأركان العالم الأربعة، تكمن أهميتها في رصد واقع التربية الفنية بالعالم وبالعوائق التي تقف في وجه تدعيمها وتكريسها، إضافة إلى عرض بعض التجارب الناجحة في هذا المجال، والتوصيات التي خرج بها الخبراء المساهمون في هذا اللقاء، وتتوزع التقارير المقصودة كالتالي:

- تقرير منطقة آسيا والباسفيك الصادر عن اللقاء الجهوي الإعدادي الذي عقد بمدينة سيئول الكورية الجنوبية ما بين 23 و25 تشرين الثاني 2005 بمشاركة خبراء ومختصين من دول المنطقة تحت شعار: "**التربية الفنية والإبداعية في منطقة آسيا والباسفيك**".[2]
- تقرير منطقة الكاريبي الصادر عن اللقاء الجهوي الإعدادي الذي عقد بمدينة سان أغستان بترينيداد توباغو ما بين 26 و30 حزيران 2005 بمشاركة خبراء ومختصين من دول المنطقة تحت شعار: "**تطبيقات ومقاربات من أجل التربية الفنية في المجتمعات المأزومة**".[3]
- تقرير منطقة أمريكا اللاتينية الصادر عن اللقاء الجهوي الإعدادي الذي عقد بمدينة بوغوتا بكلومبيا ما بين 28 و30 تشرين الثاني 2005 بمشاركة خبراء ومختصين من دول المنطقة تحت شعار: "**من أجل تربية قوامها الجودة في أمريكا اللاتينية: تحديات ورهانات**".[4]
- تقرير منطقة أوروبا وأمريكا الشمالية الصادر عن اللقاء الجهوي الإعدادي الذي عقد بمدينة فيلنيس بلتوانيا ما بين 8 و11 أيلول 2005 بمشاركة خبراء ومختصين من دول المنطقة تحت شعار: "**التفاعل بين الفن والتربية**".[5]

وقد ارتأينا مساهمة منا في إغناء هذا الملف ترجمة وعرض أهم الأفكار الواردة في التقارير الأربعة لأهميتها وجدتها وإمكانية توفيرها لأرضية نظرية لأي نقاش قد يحيط براهن التربية الفنية وآفاق تطويرها في الوطن العربي.

منطقة آسيا والباسفيك

عقد هذا اللقاء بمدينة سيئول الكورية الجنوبية في تشرين الثاني 2005 تحت شعار "**التربية الفنية والإبداعية في منطقة آسيا والباسفيك**"، وقد ركز التقرير الصادر عنه على الخصوص على توصيف وضعية التربية الفنية والابتكارية في المنطقة المذكورة من منطلق أهميتها كعامل مساهم في إنجاز تربية تتسم بطابع الجودة، وتخدم التنمية المستدامة، إذ أشار إلى دور الفنون في تطوير الجوانب التربوية لدى الطفل، محيلاً في هذا الإطار على النداء الذي وجهه مدير اليونسكو (Sheldon Shaeffer) في بانكوك من أجل ترسيخ الفنون في المجال التربوي التعليمي ضمن ما عرف بمقاربة "**الفنون في التربية**"، التي راهنت على توظيف البعد الفني في تطوير الجوانب المعرفية والإبداعية لدى المتعلمين من خلال الاشتغال ضمن مبدأ **الذكاءات المتعددة**، وتشجيع المشاركة الفاعلة للمتعلمين في سيرورة التعلم، إضافة إلى الانفتاح على الفنانين المحليين وإشراكهم في هذه السيرورة، الأمر الذي سيساعد على تحقيق أهم أهداف اليونسكو التي تتعلق بتحقيق جودة التعليم.

وفي تعرضه للسياسات المحلية في مجال التربية الفنية، عرض التقرير نتائج دراسة محلية تحصر حضورها كمكون تعليمي في 42% من بلدان المنطقة فقط، فيما لا يتجاوز حضورها في بقية البلدان الطابع الصوري أو المساعد بفعل نقص الموارد المالية والخبراء في هذا المجال، كما أشار التقرير ذاته إلى خصوصية مجموعة من التجارب التي انتهجتها بلدان المنطقة من أجل تطوير هذا المجال، ومن بينها أستراليا التي تتقاسم فيها الحكومة الفيدرالية والحكومات الجهوية مسؤولية الإشراف على هذا المجال، الأولى من خلال إعداد السياسات التعليمية والإشراف على البحوث والبرامج الوطنية، والثانية من خلال السهر على تسيير المدارس وتطبيق السياسات التعليمية وتقويمها، ثم اليابان وماليزيا والمالديف التي تحضر فيها التربية الفنية كمكون في التعليمين الأساسي والثانوي، ثم بنغلاديش ومنغوليا التي لا تدرج التربية الفنية بهما إلا ضمن التعليم الثانوي.

من جهة أخرى سجل التقرير عدم ملاءمة البرامج والمناهج المستخدمة في تطوير قدرات المتلقين الإبداعية من خلال غلبة الجانب النظري عليها وعدم مراعاتها لخصوصية الفنون التقليدية الآسيوية، بالإضافة بالطبع إلى نقص الموارد المالية والبشرية، لكن التقرير ثمَّن بعض التجارب

المميزة التي قدمها كالتالي :

■ **تجربة زيلندا الجديدة** في تدعيم حضور الفن في المجتمع ، حيث أطلقت منذ سنوات برنامجاً مميزاً حمل شعار "**الفنون في زيلندا الجديدة**" اعتبر بمثابة تقويم وطني في هذا المجال .

■ **تجربة كوريا الجنوبية** من خلال الشراكة البينوزارية ، حيث أسست لمشروع تطويري للتربية الفنية يقوم على شراكة فعالة بين وزارتي التعليم والثقافة ، انطلق منذ سنة 2003 على أساس مجموعة من التدابير أهمها :

- بناء توجهات سياسية في هذا المجال .
- تقوية مكانة التربية الفنية في المدارس .
- تقوية مكانة التربية الفنية في المحيط الاجتماعي .
- تكوين الخبراء في مجال التربية الفنية .
- دعم التربية الفنية .

وقد أدت هذه الإجراءات إلى الإدماج الفعال والكلي للفنون ضمن المقررات الدراسية الكورية ابتداء من الموسم الدراسي 2006 .

■ **تجربة ماليزيا** التي انخرطت في مشروع تربوي حمل شعار "**الفنون في التراث ، أطفال ومدن**" ، ويقوم على فكرة إشعار المتعلمين بخصوصية التراث الفني لبلدهم من خلال انفتاحهم على تراثه ، وقد استفاد من البرنامج عدد كبير من المتعلمين الذين تتراوح أعمارهم بين 10 و16 سنة كانوا مدعوين لاكتشاف هوية بلدهم الفنية التراثية .

■ **تجربة هونغ كونغ** التي تمثلت في إنشاء معهد متخصص في تطوير الابتكارية موجه لاستقبال تلاميذ التعليم الثانوي والعالي ، وهو بمثابة فضاء للتجديد الفني ومركز للفنون السمعية البصرية يضم فضاءات ومرافق متعددة من مسارح ، وقاعات عرض ، وتجهيزات تقنية ، يخدم توفرها الفعال سيرورة تعليم الفنون وتعلمها .

■ **تجربة أستراليا** التي أنشأت في إطار سعيها لتطوير التربية الفنية شبكة من المراصد التي تتوجه بالأساس نحو تجميع المعطيات عن راهن وآفاق هذا المجال في المنطقة عموماً ، إضافة إلى فتح نقاشات وآفاق لطرق تطويرها .

وقد أنهى التقرير قراءته لهذه التجارب المحلية بوضعها أمام مجموعة من المنتظرات تتعلق بما يلي :

■ ضرورة تطوير نسق تربوي مزدوج/ متعدد اللغات .

■ ضرورة الوعي بأهمية الفنون التقليدية في سيرورة التعلم ؛ سواء أكان أكاديميا أم لم يكن كذلك .

■ ضرورة مواجهة لاعدالة جودة التربية بين المناطق .

■ ضرورة أن تخصص الإصلاحات التربوية مكانة مركزية للتربية الفنية .

■ تشجيع التكوين المستمر للمدرسين .

كما خلص التقرير الخاص بمنطقة آسيا والباسفيك إلى مجموعة من التوجيهات والتوصيات كان من أهمها :

■ التشديد على رهان التعلم من خلال الفنون وبواسطتها .

■ ضرورة تشجيع البحوث والتعاون الجهوي والدولي في هذا المجال .

■ ضرورة تأسيس شراكات بين القطاعات العمومية والخاصة .

■ ضرورة تعزيز التعاون بين المدارس والهيئات المنتخبة .

■ ضرورة تكوين الخبراء في هذا المجال .

منطقة الكاريبي

عقد هذا اللقاء في حزيران 2005 بمدينة **سان أوجستان في ترينيداد** تحت شعار "**تطبيقات ومقاربات من أجل التربية الفنية في المجتمعات المأزومة**" . وقد ركز التقرير الصادر عنه بالخصوص على علاقة الفنون بالمجتمع والحياة الاجتماعية عموماً ، ودورها المفترض في التصدي للمشاكل الاجتماعية ، وذلك من منطلق أن أغلب مجتمعات منطقة الكاريبي هذه تصنف في خانة المجتمعات المأزومة التي تتعايش على مستوى فضائها مختلف أشكال الأمراض الاجتماعية ، وفي مقدمتها العنف والتفكك الأسري وتوابعهما ، في هذا السياق يرى التقرير إمكانية أن تلعب المدرسة ومكون التربية الفنية بالخصوص أدواراً رائدة في مساعدة روادها من الأطفال والمراهقين على الخصوص في التعاطي الإيجابي مع المشاكل المحيطة بهم ، فالتربية الفنية التي تشمل الأدب والفنون التشكيلية والموسيقى والرقص . . . وإن كانت لا تستطيع بمفردها تحقيق رخاء اجتماعي ، فقد تكون عنصراً مساعداً على التخفيف من حدة الأزمات المذكورة ، وهو الشيء الذي تعززه التغييرات الإيجابية المسجلة على مستوى سلوكات الأطفال والشباب الذين اندمجوا في أنشطة فنية .

تلاميذ إحدى المدارس خلال زيارتهم معرضاً فنياً في مقر مؤسسة عبد المحسن القطان برام الله .

في سياق حديثه عن الدينامية الثقافية التي تشهدها بلدان الكاريبي، أشار التقرير إلى الطابع المركب للوضع الثقافي والديني لهذه المجتمعات، وما يتبع ذلك من حساسيات قد يعد الفن مدخلاً مناسباً لتجاوزها بضمان حق كل الشرائح والطوائف الثقافية والدينية في التعبير عن مكونات تراثها، لكنه أشار في الوقت نفسه إلى العوائق السوسيواقتصادية التي تحول دون تحقيق النتائج المبتغاة في هذا المجال، فالفنون التشكيلية مثلاً ممارسة نخبوية لا قبل لأبناء الطبقات المهمشة بتحمل تكاليفها.

من جهة أخرى، يشير التقرير إلى مجموعة من التدابير التي اتخذت في اتجاه تطوير التربية الفنية ومن أهمها برنامج **الفنون المتحركة (Arts-in-Action)** الذي أنجزه **المركز الإبداعي ومهرجان الفنون في ترينيداد**، والذي اعتبر برنامجاً تربوياً عمومياً غايته تطوير الأنشطة الفنية، بما يخدم الجانب الفردي والجماعي لحياة المتلقين من الأطفال والشباب لتأهيلهم لمواجهة مشاكلهم الاجتماعية، إضافة إلى برنامج **تحرير الخيال من أجل التعبير** سنة 2004، الذي صنف برنامجاً مثالياً من قبل **البنك البينأمريكي للتنمية**.

كما يشير التقرير إلى الرابطة القوية بين الفن والمجتمع والدور الممكن للأول في خدمة الثاني، التي تجسدت في مجموعة من التجارب التي لعبت فيها الفنون في مختلف صيغها أدواراً اجتماعية إيجابية، وفي هذا الإطار يمكن تسجيل ما يلي:

- تشجيع الشباب في ترينيداد على إحياء العزف على آلة موسيقية شعبية تعرف باسم (steelpan)، الأمر الذي كان له انعكاس سلبي على توجهاتهم وسلوكاتهم اتجاه ذواتهم واتجاه الآخرين الذين أصبحوا بالنسبة إليهم أصدقاء وزملاء توحدهم رابطة الموسيقى والفن.
- إنشاء مراكز تكوين بالنسبة للأطفال المتخلى عنهم في ترينيداد، والتي شكلت مصدر جذب لأطفال الشوارع الذين التحقوا بها بمحض إرادتهم بفضل دروس المسرح والموسيقى التي تقدم ضمن أهم أنشطتها، وتقوم فلسفة المراكز على أساس فكرة مفادها أن بداخل كل واحد منا شخص طيب ينبغي الكشف عنه.
- إنشاء مؤسسة الشباب في مدينة كينغستون بجمايكا، وهي مثال جيد في مجال توظيف التربية الفنية في مواجهة المشاكل الاجتماعية، إذ تستقبل أبناء الفئات والأحياء المهمشة الذين تتراوح أعمارهم ما بين 13 و25 سنة، وتتولى تأطيرهم تربوياً بالاعتماد على الفنون أساساً، وفي مقدمتها المسرح، وقد أثمرت هذه المؤسسة نتائج جيدة.

امتداداً للتصور المبني على العلاقة الوطيدة بين الفن والحياة الاجتماعية، يشير التقرير أيضاً إلى تجارب تطبيقية استخدمت من خلالها الفنون في العلاج الاجتماعي، وبخاصة بالنسبة للأشخاص العصبيين والعدوانيين من خلال تقنية تعرف باسم **(Playback Theatre)** وهي عبارة عن تقنية مسرحية يحكي من خلالها المشاركون تفاصيل حياتهم، وقد استخدمت -يقول التقرير- مع مجموعة كبيرة من منكوبي إعصار إيفان سنة 2004 لمساعدتهم على التخلص من آثار ما عاشوه، كما سجل التقرير تطبيقات الدكتور **داني ليندرساي (Dani Lyndersay)** مع أطفال سريلانكا الذين عايشوا إعصار تسونامي من خلال المسرح التفاعلي والموسيقى والفنون التشكيلية.

لكن هذه التجارب لا تعكس مع ذلك نجاحاً في تكريس التربية الفنية وتوظيفها لخدمة الأغراض التربوية والاجتماعية في المنطقة، فالحالة العامة يقول التقرير تؤشر على غياب سياسة منسجمة وفعالة في هذا المجال. لهذا، خرج هذا اللقاء بمجموعة من التوصيات والتوجيهات بعضها موجه لحكومات دول المنطقة والبعض الآخر لمنظمة اليونسكو.

التوصيات الموجهة لحكومات دول المنطقة:

- ضرورة الوعي بأهمية التربية الفنية وتطوير العلاقات بين المجالس المنتخبة والمؤسسات الاجتماعية والتربوية في هذا المجال.
- ضرورة العمل على إدماج الفن في البرامج التعليمية وفي الحياة العامة.
- ضرورة توفير موارد بشرية مؤهلة في هذا المجال.
- ضرورة ضمان تكوين مهني للفنانين والمدرسين لتحسين جودة التربية الفنية.
- العمل على توفير المرافق والتجهيزات بالمدارس والمكتبات لخدمة التربية الفنية.
- خلق بنوك معلومات تعنى بجمع المعطيات في هذا المجال، وجعلها في متناول المؤسسات عبر شبكة الإنترنت.
- توثيق الثقافة الشفوية لحفظها من الضياع.

التوصيات الموجهة لمنظمة اليونسكو:

- تخصيص موارد مالية لتطوير التربية الفنية وإدماجها في البرامج التعليمية للمنطقة.
- مواصلة إدماج التربية الفنية وترسيخها ضمن البرامج الدولية لليونسكو.
- تبني التجارب الناجحة في هذا المجال.
- تطوير الأبحاث في مجال التربية الفنية.

منطقة أمريكا اللاتينية

عقد هذا اللقاء في العاصمة الكولومبية **بوغوتا** بتاريخ تشرين الثاني 2005 تحت شعار: "**من أجل تربية قوامها الجودة في أمريكا اللاتينية: تحديات ورهانات**". وقد انطلق التقرير عنه في تشخيصه لوضعية التربية الفنية بأمريكا اللاتينية من مقولة الكاتب الكولومبي الكبير حامل جائزة نوبل للآداب **غابرييل غارسيا ماركيز** "علينا أن نكف عن التعامل مع العلوم والفنون كاختين عدوتين" التي ترصد حالة الفصل بين العلوم والفنون في المجالات التربوية، كما أشار إلى أهمية الفنون على مستوى التربية فيما يتعلق بمساهمتها في تطوير الذكاء العاطفي، والقدرة على التخيل لدى المتلقين، إضافة إلى إمكانية الرهان عليها كطريق نحو تكريس التعدد الثقافي والتعبير عنه من خلال مساهمة المؤسسات الفنية كالمتاحف والمعاهد الموسيقية ودور المسرح والسينما، إضافة إلى مراكز الصناعة التقليدية، وهو الأمر الذي يعني اندماج الفنانين من ممثلين وراقصين وشعراء وكتاب ورسامين ونحاتين . . . في هذه السيرورة، كما أشار التقرير إلى الدور الممكن للأنشطة الفنية التي يزاولها أطفال الفئات المهمشة في تحسين تصورهم لذواتهم والتفاعل البناء مع موروثاتهم. وقد وجدت هذه الأفكار المرتبطة بدور الفن في التربية طريقها للتطبيق -يقول التقرير- من خلال مجموعة من التجارب

المنتهجة في بعض البلدان كتجربة المكسيك في توظيف التربية الفنية في تقديم التعدد الثقافي ضمن البرامج التعليمية، وتجربة كولومبيا التي ركزت على نشر الثقافة الموسيقية وتكريسها في مختلف مناطق البلاد من خلال تأسيس عدد من المدارس المختصة، التي ساهمت في تطوير الرأسمال الإبداعي لدى الأطفال والشباب الكولومبيين، إضافة إلى تجربة شيلي في مجال إعداد برامج تعليمية في مجال التربية الفنية.

من جهة أخرى، أشار التقرير إلى الدور المحوري لمدرسي الفنون في هذه الدينامية، الأمر الذي يتطلب حتماً إيلاء أهمية قصوى لتكوينهم في هذا المجال، وهو الأمر الذي يصطدم -يقول التقرير- بمعيقات مالية بالأساس، فقد لجأت كوبا مثلاً إلى إدراج دروس فنية في إطار برامج تلفزية بفعل النقص الحاد في أطر التدريس.

وقد ثمن التقرير في هذا الإطار مجموعة من التجارب الناجحة التي اندمجت فيها الفعاليات المذكورة في دينامية التربية الفنية في مختلف أبعادها، التي جاء الحديث عنها كالتالي:

- تجربة **البرازيل** من خلال برنامج "**لنفتح الفضاء**" وهو برنامج مدعم من قبل اليونسكو ذو بعد اقتصادي واجتماعي وثقافي وفني يستهدف الأحياء والمناطق المهمشة، وقد استفادت منه منذ بدايته في سنة 2000 أزيد من 6000 مدرسة وأزيد من 5 ملايين شخص من مختلف الأعمار، ويقوم على فتح أبواب المؤسسات التعليمية وفضاءاتها أمام التلاميذ وأسرهم ومختلف الفاعلين المحليين في عطلة نهاية الأسبوع لاستغلالها في أنشطة ثقافية واجتماعية ورياضية وفنية . . . ويكرس المشروع البعد التضامني بالأساس، فأزيد من 80% من المشرفين على أنشطته من فنانين ومنشطين في التخصصات كافة هم من المتطوعين، وقد أسهم في التأثير الإيجابي على الحياة الاجتماعية في المناطق المحيطة بالمدارس المعنية.
- تجربة **هندوراس** من خلال برنامج "**مكافحة الفقر في المجال الحضري**" الممول من قبل البنك البينأمريكي للتنمية، والذي خصص شق منه لدعم التربية الفنية لدى أطفال الباعة المتجولين.
- تجربة **فنزويلا** التي أشرف عليها قائد الأوركسترا الوطنية **أنطونيو أبرو (Antonio Abreu)** الذي نجح من خلالها وعلى امتداد أزيد من عشرين سنة في تحويل سلوكات الشباب في فنزويلا والدول المجاورة من العنف إلى الاندماج في الإبداع الموسيقي.
- تجربة **الأرجنتين** من خلال نشاط جمعية "**التربية المنشودة**" التي يشرف عليها عازف البيانو الشهير **ميجيل أنخيل إستريلا (Miguel Angel Estrella)** منذ 1970، التي حققت نتائج اجتماعية وتربوية مميزة.
- تجربة **كولومبيا** من خلال برنامج "**مدرسة الجسد**" الذي يشرف عليه الراقص الكولومبي **ألفارو ريستريبو**، الذي عزز قيمة البعد التربوي والاجتماعي للفن.

وقد انتهى التقرير بإطلاق إعلان بوغوتا الذي يتضمن مجموعة من الدعوات والتوصيات يمكن تقديمها كالتالي:

- تعزيز الوعي بأهمية التكوين والممارسة التربوية في مجال التربية الفنية.
- التكوين الجيد للمدرسين نظرياً وتطبيقياً في محال التربية الفنية.
- تطوير حضور التربية الفنية في البرامج التربوية وفق رؤية بينمناهجية.
- تشجيع مساهمة الفنانين في هذه السيرورة.
- تعزيز الشراكات بين المؤسسات التربوية والثقافية في كل بلد.
- خلق شبكات تعاون وتواصل بين الدول الأعضاء في هذا المجال.
- تحسين مشاركة وتنظيم مدرسي التربية الفنية على المستوى الوطني والدولي.
- التوعية بالمشاكل السوسيواقتصادية ضمن برامج التربية الفنية.
- تشجيع الأبحاث الوطنية والجهوية في هذا المجال.
- وضع برامج تكوين على المستوى الوطني والدولي.
- تحليل نسقي للتجارب المنتهجة وضمان تبادلها.
- تطوير الموارد الببليوغرافية والمعلوماتية التي تخدم مجال التربية الفنية.
- دعم التربية الفنية في مجال التواصل.
- إدخال التقنيات التواصلية الجديدة في برامج تكوين مدرسي التربية الفنية.
- العمل على وضع نصوص، ومناهج، وكتب لتسهيل التعليم والتعلم في هذا المجال.
- خلق استثمارات في هذا المجال.
- ضمان الاستمرارية للبرامج والسياسات المنتهجة في هذا المجال.
- الوعي بأهمية التربية الفنية في إدراك القيم الجمالية.
- نشر مقتضيات هذا الإعلان وترسيخها ضمن برامج التربية والتعليم.

منطقة أوروبا وأمريكا الشمالية

عقد هذا اللقاء في أيلول 2005 بمدينة **فيلنيس بلتوانيا** تحت شعار: "**التفاعل بين الفن والتربية**"، وقد أشار التقرير الصادر عنه إلى وجود هوة واسعة في هذه البلدان بين الإرادة السياسية والممارسة في كل ما له علاقة بالفن والتربية الفنية، فإذا كان الفن -يقول التقرير- يتيح إمكانات هائلة لتنمية الخيال والتعبير والتجديد، فإن الرؤية البيداغوجية السائدة في هذه البلدان لا تقود حتما نحو الابتكارية.

لقد أشار التقرير إلى الآفاق الواسعة التي من الممكن أن تفتحها التربية الفنية في التعاطي مع المشاكل الاجتماعية والأسرية المرتبطة بالتعدد والاختلاط الثقافي، وبخاصة لدى أبناء الأحياء الهامشية، إضافة إلى إمكانية توظيفها في تدريس الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، بالإضافة إلى تطبيقاتها العلاجية الشبيهة بما تم تسجيله في منطقة الكاريبي مع ضحايا الكوارث الطبيعية، التي تمثلت في تجربة روسيا في توظيف التربية الفنية في علاج أطفال مدرسة بيسلان الذين احتجزوا كرهائن لفترة طويلة في ظروف صعبة، وذلك بدعم من اليونيسيف، لكنه رصد مع ذلك فوارق في التصورات بين دول المنطقة حتى فيما يخص تصورها لتعريف التربية الفنية، لكنه يحيل مع ذلك على التعريف الصادر عن الندوة الدولية التي عقدتها اليونسكو العام 1999، التي جمعت ضمن دائرة التربية الفنية بين كل من الأدب والفنون التشكيلية والموسيقى والمسرح والرقص والسينما. من جهة أخرى يسجل التقرير

الفوارق بين الدول فيما يتعلق بتوزيع المسؤوليات المتعلقة بالإشراف على التربية الفنية. وفي هذا الإطار، يستعرض التقرير بعض النماذج والحالات:

حالة فرنسا: التي تعرف وجود تمييز واضح بين وزارتي الثقافة والتواصل من جهة، والتربية الوطنية والتعليم العالي والبحث العلمي من جهة أخرى، لكنها تعرف مع ذلك عقد شراكات بين الطرفين فيما يخص الجوانب السياسية والمالية والمشاريع المدرسية، بحيث بإمكان المدرسين تقديم طلبات التمويل لمشاريعهم عن طريق إدارات مؤسساتهم، وقد كان من ثمار هذا التوجه في فرنسا مخطط خماسي استهدف وضع الفن في عمق التعليم وليس على هامشه، وتم من خلاله إدراج مواد إجبارية، وأخرى اختيارية، إضافة إلى إنجاز شراكات بين المدارس والمؤسسات الثقافية.

حالة هولندا: التي تتميز بارتباط عضوي بين الفن والتربية على المستوى السياسي يستمد شرعيته من وجود وزارة واحدة تشرف على التربية والثقافة والعلوم، هذا الارتباط أثمر برنامج "الثقافة والمدرسة" الذي استهدف توثيق الصلات بين النسق التربوي والعالم الثقافي ومختلف المؤسسات العمومية، فأصاب بمقتضاه 12 ولاية و30 مجلساً منتخباً مسؤولة عن التفاعل البنيوي بين المؤسسات الثقافية والتعليمية، وقد تركز البرنامج على ثلاثة منطلقات هي: التراث الثقافي، التعدد الثقافي، التربية في وسائل الإعلام.

حالة بريطانيا: من خلال برنامج "الشراكة من أجل الإبداع" الذي أشرفت عليه شعبة الثقافة والإعلام والرياضة والفن بميزانية 160 مليون يورو على امتداد أربع سنوات، واستهدف تدعيم حضور الفن في التعليم والتعلم، إضافة إلى الأنشطة التي يشرف عليها المعرض الوطني للفنون والتي تتمثل خصوصاً في تخصيص رابط تربوي بموقع المركز على شبكة الإنترنيت يجمع معلومات ومعطيات متنوعة تفيد في صياغة دروس للمدرسين والمتعلمين وعائلاتهم، وتنظيم دروس صيفية تساعد المدرسين على تطوير معارفهم في تاريخ الفنون وإدماجها في الفضاءات التعليمية.

حالة ألمانيا: من خلال برنامج (Kubim) الذي تشرف عليه الدولة على امتداد خمس سنوات لتشجيع الابتكارية في تفاعل مع التطور التقني.

من جهة أخرى، يشير التقرير إلى أهمية اندماج الفنانين في هذه السيرورة، وهو ما يمكن مقاربته من خلال مثال مركز بلغايو للدراسات الفنية الذي أسسه عازف البيانو البرتغالي الشهير ماريا جاوبيريس (Maria Joao Pires)، والذي يستقبل متعلمين من مختلف الفنون، ويوفر لهم تكويناً صلباً في مجال تخصصهم.

وقد أولى التقرير هامشاً مهماً للموارد البشرية في هذا المجال، فركز على ضرورة ضمان التكوين الجيد والمستمر للمدرسين الذي يضمن تطوير الخبرات والمعارف والتقنيات باستمرار، وهو ما يتجلى بامتياز في التجربة الكندية التي تضمن لمدرسي التربية الفنية تكوينات تكميلية مستمرة تجعلهم على اطلاع مستمر بمستجدات المجال، إضافة إلى تجربة الولايات المتحدة الأمريكية، خصوصاً في ولاية كاليفورنيا التي أطلقت مشروع (Arts Project) الذي يجتمع في إطاره أساتذة التربية الفنية باستمرار لتبادل الخبرات والمهارات والمشاركة في تقويم إنجازات متعلميهم وتحليلها.

ومع كل هذه التوجهات والتجارب، فإن التقرير يسجل مجموعة من المشاكل التي تعيق تغلغل الفن في الحياة المدرسية والتربوية عموماً، والتي يأتي على رأسها النقص الحاد في المدرسين، والفرق الهائل بين التنظير والممارسة في هذا القطاع.

وقد انتهى التقرير كغيره من التقارير السابقة بإصدار مجموعة من التوصيات نجملها فيما يلي:

توصيات لحكومات دول المنطقة:

- التشديد على دور التربية الفنية في تطوير مهارات التلاميذ من أجل اكتساب قدرات قرائية وكتابية وحسابية، وإحداث تأثيرات إيجابية على المستوى الاجتماعي والإنساني، الأمر الذي يتطلب من الحكومات إيلاء مكانة مركزية للتربية الفنية في البرامج التعليمية.
- جعل تكوين وإعداد المدرسين في التربية الفنية مسألة أولوية في النسق التعليمي.
- جعل التربية الفنية في متناول الجميع داخل المدرسة وخارجها.
- تدعيم تربية تحترم مقررات اليونسكو فيما يتعلق بحماية التعدد الثقافي واللغات الأصلية.

توصيات لحكومات دول المنطقة ومنظمة اليونسكو:

- إيلاء أولوية مطلقة للدفاع عن مكانة التربية الفنية من أجل ضمان فهم جيد ومعرفة حقيقية بانعكاسات التربية الفنية على الإنسان والمجتمع.
- ترجمة هذا الإحساس بأهمية التربية الفنية على مستوى الالتزام بتوفير الموارد الكفيلة بخلق رؤية جديدة للفن والتعلم.

توصيات لمنظمة اليونسكو:

- خلق قاعدة معلومات وأبحاث دولية في هذا المجال.
- تشجيع الحكومات وباقي التنظيمات على تسهيل الشراكات والتواصل بين الوزارات ومختلف المؤسسات الثقافية والمهنية لدعم كل مبادرة في هذا المجال.

ليست هذه القمة سوى تعبير عن وعي عالمي بالدور المحوري الذي من الممكن أن تلعبه التربية الفنية في الرقي بالحياة الإنسانية وتحسين جودتها على المستويات كافة، وليست التقارير التي قمنا بقراءتها في سياق هذه الورقة سوى تعبير عن إرادة شعوب العالم في فتح آفاق لا متناهية من الإبداع والخلق والابتكار، تضمن للأفراد والمجتمعات التفاعل الإيجابي مع مختلف تحديات الوجود الإنساني، لذلك قد تمثل تدابيرها ومقرراتها وتوصياتها أرضية للتأمل والتفكير في القضايا المحيطة براهن ومنتظرات حياتنا الإنسانية.

محمد فاضل رضوان
باحث سوسيولوجي من المغرب

الهوامش

* هذه المادة كتبت خصيصاً لـ "رؤى تربوية" .

[1] L'éducation artistique et la créativité;Conférence mondiale sur l'éducation artistique"Développer les capacités créatrices pour le 21ème siècle"Lisbonne, Portugal, 6-9 mars 2006 Document de travail préparé par la Division des arts et de l'entreprise culturelle du secteur de la culture de l'UNESCO.
http://www.unesco.org/culture/lea

[2] Principales conclusions de la conférence régionale préparatoire pour la région Asie-Pacifique qui s'est tenue du 23 au 25 novembre 2005 à Séoul, République de Corée en vue de la Conférence mondiale pour l'éducation artistique de l'UNESCO.
http://www.unesco.org/culture/lea

[3] conclusions et les communications présentées lors de la conférence régionale, Pratiques et perspectives pour l'éducation artistique dans des sociétés en crise, 2ème Symposium international sur l'éducation artistique dans les Caraïbes, St. Augustine, Trinidad, 26-30 juin 2005.
http://www.unesco.org/culture/le

[4] Principales conclusions de la " CONFERENCIA REGIONAL DE AMÉRICA LATINA Y CARIBE LATINO PREPARATORIA DE LA CUMBRE MUNDIAL DE EDUCACIÓN ARTÍSTICA , Bogotá, 28 al 30 de Noviembre 2005.
http://www.unesco.org/culture/lea

[5] Principales conclusions de la Conférence régionale préparatoire (Europe et Amérique du Nord) qui s'est tenue du 8 au 11 septembre 2005 à Vilnius, Lituanie, sur le thème Synergies entre les arts et l'éducation en vue de la Conférence mondiale sur l'éducation artistique
http://www.unesco.org/culture/lea

درس في الاستكشاف والتعبير اللغوي والحركي . الصف السابع في مدرسة الرجاء اللوثرية – رام الله .